المجلة العالمية للعلوم الشرعية والقانونية
الإصدار الحادي والأربعون
المجلد (٥) العدد (٥)
٢٠٢٢ (١٦-٣٣)

المجلة العالمية
للعلوم الشرعية والقانونية

Middle East Institution of scientific Publishing

علم المناسبات في تفسير أبي حيان الأندلسي

ليلى محمد العقيل

*أستاذ تفسير القرآن وعلومه، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة، **المملكة العربية السعودية***

نُشِرَ إلكترونياً في: **١٥ نوفمبر ٢٠٢٢**

الملخص

هدف البحث إلى تعريف علم المناسبات في القرآن الكريم، وأيضا هدف البحث إلى التعريف بترجمة موجزة لأبي حيان، وبيان أخذ أبي حيان المناسبات عن غيره، وإيراد نماذج من المناسبات الواردة في كتاب (البحر المحيط)، واستخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع أماكن المناسبات ومواضعها التي وردت في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي. ولقد كانت نتائج البحث على النحو التالي: علم المناسبات من العلوم الشرعية الأصيلة التي تحتاج إلى الكثير من التحقيق والتحرير. علم المناسبات منضبط؛ فله أصول وقواعد وموازين، ينبغي الحرص على تطبيقها. المناسبات القرآنية ترجع إلى ثلاثة أصول: المناسبات بين السور، وبين الآيات، وفي المشتبهات. علم مقاصد السور من ثمار علم المناسبات. البحث يظُهر أهمية اللغة وأثرها الكبير في تدبر القرآن ال كريم. كما أوصي الباحثين بإفراد مباحث هذا البحث برسائل وأبحاث، لاسيما أنواع المناسبات.

الكلمات المفتاحية: علم المناسبات، أبو حيان، تفسير القرآن الكريم.

Abstract

The research aimed to define the science of occasions in the Holy Qur'an, and also the aim of the research to introduce a brief translation of Abu Haiyan, and the statement of Abu Haiyan's taking occasions from others, and to list examples of occasions contained in the book (The Ocean Sea), and used in this research the inductive method, by tracing the places and places of events that appeared in the interpretation of the surrounding sea of Abu Haiyan al-Andalusi. The results of the search were as follows : Event science is an authentic Sharia science that needs a lot of investigation and editing. The science of occasions is disciplined; it has origins, rules, and scales, which should be taken care to apply. Qur'anic occasions have three origins: occasions between suras, between verses, and in suspects. The science of the purposes of the fence is

one of the fruits of the science of occasions. The research shows the importance of language and its significant impact on the reflection of the Holy Qur'an. I also recommend that researchers individualize the detectives of this research with letters and research, especially the types of events.

Keywords: science, Occasions, Abu Haiyan, Tafseer, Holy Quran.

*** المقدمة**

وقد اتخذ القرآن الكريم نهجا فريدا في عرضه للقضايا التي عرض لها، على عكس المقاربات السابقة واللاحقة الأخرى، التي وصفت في مناهجه بأنها تستند إلى مقدمات وتحقيقات متسلسلة وسور وفصول وغيرها، في إطار أغراض محدودة ونتائج مستخلصة.

فنراه يذكر طرفا من الشيء ، ثم يتركه ، وينتقل إلى غيره، ثم يرد مرة أخرى فيتم الشيء الأول، باختلاف الطرق التي لا تثير السآمة ولا الملل منه، وهو في ذلك كله يراعي التسلسل المنظم بين نصوصه وآياته في التقارب بينها، فتراه نجد الآيات متسقة مع كلماتها، متعاضدة مع أخواتها، وتلتقي السورة بالتي بعدها ، والتي قبلها ، برابط جاعلا منها نسيجا واحدا ، فتكون بذلك السورة مع ما قبلها وما بعدها ليست من جنس غريب ، فتبدو السورة مع باقي السور كعقد نظمت حباته، ورتبت أيما ترتيب، فكان القرآن الكريم بذلك معجزا بنظمه ، بديعا في اتساقه ، متناسبا في الآيات والسور ، والأجزاء.

كما أن فرادة هذا المنهج استرعت انتباه واهتمام قليل من علماء التفسير واللغة، في القديم والحديث، فعكفوا على دراسة هذا النهج، وأنشأوا له علما مستقلا، يدرسون فيه خصائص هذا النهج، والتجديد لمعالمه، وقد أطلقوا عليه (علم المناسبات)

ومن بين هؤلاء العلماء المفسر الكبير (أبو حيان الغرناطي الأندلسي) صاحب كتاب البحر المحيط في التفسير.

ولقد قسمت الكلام في هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وفهارس فنية.

*** أهمية الموضوع**

تأتي أهمية البحث من كونه يتصل بأعظم الكتب المترلة وآخرها، ألا وهو القرآن الكريم، وكان الحجَة القاهرَة التي قهر الله بها أعداءه بمختلف توجهاتهم وأفكارهم، حتى سّلم له عَقلاء الغرب بالصدق والواقعية؛ كان الغوص في أسراره، والبحث في سوره وآياته، من أشرف العلوم الشرعية.

ولتلك المكانة العظيمة للقرآن الكريم انطلق العلماء بكل شغف ينقِّبون عن كنوزه، ويتسابقون إلى إبراز مكامن إعجازه، ومن أولئك العلماء، علامٌةَ فذٌّ، بذل الوقت والجهد في التأليف والتحقيق، فكان مثار إعجاب من علماء عصره، والعلماء من بعده، ذلك هو الشيخ (أبو حيان الأندلسي) صاحب كتاب البحر المحيط في التفسير.

*** أسباب اختياره**

١- الرغبة الشخصية في التعرف على هذا العلم الكبير، والذي برع فيه عدد لا بأس به من العلماء الأجلاء.

٢- الحاجة للتعرف على علم المناسبات التي أوردها الإمام أبو حيان في تفسيره.

٣- الوصول إلى دراسة تبحث في علم المناسبات في كتاب البحر المحيط في التفسير، تكون عونا للدارسين.

*** منهج البحث**

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع أماكن المناسبات ومواضعها التي وردت في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، إضافة إلى عنايتي بأساسيات البحث التقليدية على النحو التالي:-

١- كتبت الآيات بالرسم العثماني مضبوطة بالشكل.

٢- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف الشريف، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٣- جعلت النصوص المنقولة بين علامتي تنصيص" "تمييزاً لها عن كلام المؤلف.

٤- اجتهدت في توثيق النصوص المنقولة وعزوها إلى مصادرها، مع الحرص على مقابلة النص المنقول من الكتاب الأصلي إن وجد.

*** علم المناسبات**

أولاً- تعريف المناسبات لغة واصطلاحا

*** معنى المناسبة لغة، واصطلاحا**

المناسبة لغة: قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "النون، والسين، والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب. وهو نسيب فلان. والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"[1].

وقال في لسان العرب: "وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشاكلة"[2].

والمناسبة في الاصطلاح: هي بيان: "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"[3].

أو كما يقول البقاعي: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"[4] أي أجزاء القرآن الكريم.

ويبدو وجود توافق المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للمناسبة.

أما عن فائدة هذا العلم فقد قال الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[5]

ثانياً- أنواع المناسبات

إن ما نراه من الانسجام والتناغم والترابط والتناسب بين الآيات في الذكر الحكيم، في السورة الواحدة، يحدث أيضا بين سور القرآن الكريم مع بعضها البعض، فنكاد لا نقرأ القرآن بعناية إلا ونجد بينها وبين سابقتها تناسبا وترابطا، يبين سر الإعجاز وذلك بحسب ترتيب السور.

وهذ التناسب على ثلاثة أقسام:-

القسم الأول: مناسبة فواتح السور لخواتمها:-

ومن هذا النوع ما نجده في سورة القصص، حيث بدأت بقصة موسى عليه السلام، وفيها من الوعد الحق بإعادته إلى أمه مرة أخرى لكي تقر عينها، ولا تحزن، ودعائه بألا يكون مواليا وظهيرا للمجرمين، ثم نجد في ختام السورة تسلية من الله تعالى لنبيه الكريم، بخروجه من مكة المكرمة،

(1) معجم مقاييس اللغة، 423/5، 424.
(2) لسان العرب، 756/1.
(3) مباحث في علوم القرآن، ص 96.
(4) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، 142/1.
(5) البرهان في علوم القرآن 1/ 36

ووعده برجوعه إليها، يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: 85]. وقد عاد إليها فاتحًا منتصرًا، وقيل له: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦)﴾ [القصص: 86].

ومثاله ما نجده في سورة (المؤمنون) حيث افتتحت بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)﴾ [المؤمنون:1]، وورد قبل آخرها بآية: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾ [المؤمنون: 117].

ومثاله أيضا في سورة (صّ) حيث بدأت بالذكر في قوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)﴾ [ص: 1]. وجاء قبل آخرها بآية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧)﴾ [ص: 87].

وفي سورة (القلم) مثال آخر نفى في أولها ما رمي به – صلى الله عليه وسلم – من الجنون، فقال: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)﴾ [القلم: 2]. وفي آخرها حكى قول المشركين، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: 51]. فسبحان من نفى عن رسوله التهمة قبل حكايتها [1].

القسم الثاني: مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها

قال الزركشي: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى"[2] كقوله سبحانه في آخر سورة (الطور): ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)﴾ [الطور: 49]. ثم قال في السورة التي تليها: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١)﴾ [النجم:1].

وافتتاح سورة الحديد بالتسبيح بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ [الحديد:1]. [3]، فإنه في غاية المناسبة لختام سورة الواقعة التي قبلها، والتي أمرت به بقوله ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾ [الواقعة: 96].

القسم الثالث: مناسبة افتتاح السورة لمقاصدها

فنجد أن سورة الإسراء كانت فاتحتها تسبيح الله تعالى بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء:1]

وسورة الكهف وهي تالية لها في الترتيب افتتحت بالحمد، بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١)﴾ [الكهف: 1].

قال ابن الزملكاني: "إن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي – صلى الله عليه وسلم –، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى، أتى بـــ (سبحان) لتتريه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب. وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف، وتأخر الوحي، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه، ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة"[4].

كما أن هناك أنواعا أخرى من التناسب وهي على النحو التالي:-

أولًا: – المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة

وإذا نظرنا إلى إحدى سور القرآن الكريم، فإن روعة كلماتها تأخذنا في سهولة نطقها، وقرب تناولها

(1) انظر: الأصلان في علوم القرآن، ص 63.
(2) البرهان في علوم القرآن،38/1.
(3) البرهان في علوم القرآن،1/ 38.
(4) أسرار ترتيب القرآن، 337/3.

للمعنى، ووصولها بنفس القدر الذي صيغت من أجله؛ حيث يجد المتأمل في كلمات القرآن الكريم أنها وضعت مكانها من النظم الكريم، فيتم اختيارها بمفردات مختارة، وتكون اللفظة في موضعها متناسبة من حيث نطقها أو معناها، ومجيء المعني على قدر اللفظ الموضوع له، بحيث إذا رفع لفظ عن الآية، أو استبداله بآخر، سيتم اختلال نظامه، وسيفقد الغرض المقصود منه.

يقول ابن عطية:" وكتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب –يومئذ – في سلامة الذوق، وجودة القريحة"[1].

والتناسب بين أجزاء الآية، يكون من حيث اللفظ أو المعنى:

أما من حيث اللفظ: ونعني به مناسبة اللفظ لألفاظ الآية: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)﴾ [يوسف: 85].

جاءت الكلمات لتناسب بعضها البعض، لأنه في الآية جاء بكلمات كانت متناسبة في الغرابة.

فالتاء: أغرب ألفاظ القسم، وذلك لأنها أقل استعمالا من الواو، والباء. وأتى بـــ(تَفْتَأُ)، وفتئ: أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات(كان). وأتى بلفظ (حَرَضًا): وهو أغرب ألفاظ الهلاك.

ويتطلب الوضع الجيد في النظم أن تكون كل كلمة مقترنة بكلمة من جنسها من أجل تحقيق حسن الجوار، والحرص على تحالف معاني الكلمات، وأن تكون الكلمات متساوية في المركز ومتناسبة في النظم. [2].

وجاءت هذه الكلمات الغريبة لتتوافق مع وضع يعقوب – عليه السلام – الذي وصل إليه، وشفقة أبنائه على حالته، وخوفهم من هلاك النفس عليه.

*** وأما تناسب اللفظ من حيث المعنى**

ففي مثل قوله تعالى: – ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: 113].

فإن الله القدير، عندما نهى عن الاعتماد على الظالمين، أي الميل إليهم، والتعويل عليهم، وكان ذلك دون مشاركتهم في الظلم، بين إن العقاب على ذلك، دون عقابه على الظلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: 31].

وفي آية الأنعام كان رزق الآباء مقدم للأبناء، وفي آية الإسراء كان رزق الأبناء مقدم على ما كان للآباء، لأن الكلمات الواردة في الآية الأولى موجهة إلى الفقراء وليس إلى الأغنياء، فهم يقتلون أولادهم من الفقر الذي يلحق بهم، لا لأنهم يخشون ذلك، لذا فإن البلاغة تلزمهم بتقديم وعدهم بالعيش، واستكمال الإعداد برزق الأطفال.

وفي الآية الثانية (آية الإسراء)، الخطاب لغير الفقراء، الذين يقتلون أولادهم خوفا من الفقر، وليس لأنهم يفتقرون إليه فورا، لأنهم يخشون أن تسلبهم كلفة الأبناء الثروة التي في أيديهم، لذلك يجب توفير الإعداد لمعيشة الأطفال، حتى يؤمنوا ما كانوا يخشونه من الفقر، فقال: لا

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 52/1

(2) معترك الأقران في إعجاز القرآن، 295/1.

تقتلوهم، سنوفر لهم ولكم الرزق الكافي، أي أن الله قد جعل رزقهم معهم، ولا يشاركونك رزقك، فلا تخف من الفقر [1].

*** ومن المناسبات بين أجزاء الآية**

أن يراعى متطلبات ومقتضيات التعبير القرآني من حيث المعنى والسياق، ومع مراعاة الانسجام والتناغم في الفواصل بين الآيات، وذلك لما له من الأثر الكبير البالغ على سمع المرء، ووقعه المؤثر في النفوس.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)﴾ [إبراهيم: 34].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)﴾ [المائدة: 38]. في الآية الكريمة، يعاقب السارق والسارقة بقطع يديهما، والإساءة إليهما عقوبة سرقتهما وخيانتهما.

قال الأصمعي:" كنت أقرأ سورة المائدة، ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: 38]. فقلت: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا.؟ فقلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدت ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثم تنبهت، فقلت: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت.؟ قال: يا هذا، عز، فحكم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم، لما أمر بالقطع"[2].

ثانيا– المناسبة بين الآيات

ويظهر ذلك في ارتباط الآية بالآية، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:–

القسم الأول: أن يظهر الارتباط بين الآية الثانية والآية الأولى، إذا كانت الآية الثانية سببا للآية الأولى، أو تفسيرا لها، أو مؤكدة، أو بدلا من ذلك، أو اعتراضية، على وسائل الارتباط الأخرى.

وهذا النوع لا يتطلب جهدا كبيرا في استخراج المناسبة، طالما أن الطالب لذلك يعرفها، ويستخرجها، يستوفي الشروط التي يجب توافرها، لأن الارتباط واضح.

ومن أمثلة هذا القسم:–

١– أن تكون الآية الثانية سببا للأولى: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾ [آل عمران: 23].

ووجه النظم: أنه تعالى لما قال في الآية الأولى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، قال في الآية الثانية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [3].

٢– أن تكون الآية الثانية تفسيرا للأولى: – وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)﴾ [غافر: 38]. ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)﴾ [غافر: 39]

٣– أن تكون الآية الثانية تأكيدا للأولى: مثل قوله تعالى: ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)﴾ [غافر: 41-42].

([1]) انظر: أسرار البيان في التعبير القرآني، ص 60-61

([2]) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 357/11.

([3]) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير 179/7.

فقوله: ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ تأكيد لما قبله، فقد كرر نداءهم إيقاظا لهم عن سنة الغفلة، واهتماما بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما تقابلون به دعوته [1].

٤- أن تكون الآية الثانية بدلا من الأولى: مثل قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 6-7].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: 52-53].

فإن لفظ (صِرَاطِ) الثانية في الآيتين بدل من الأولى فيهما، والبدل موضح، ومبين للمبدل منه.

وهو ما لا يظهر الارتباط فيه بين الآيتين: فالقرآن الكريم، إذا ذكر الأحكام، عادة ما يذكر وعدا أو وعيدا، بالإرسال والحث على العمل، ثم ذكر آيات التوحيد، لتعليم عظمة الله تعالى فهو الآمر الناهي، بحيث تبدو كل آية مستقلة عن الأخرى، وأنها مخالفة للنوع الذي يعبر عنه.

وينقسم هذا القسم إلى قسمين:-

١- أن تكون الآية الثانية معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف، لذلك فهي تشارك حكمها، ويجب أن يكون هناك رابط جامع وجهة تجمع بينهما، لأنه ضروري عندما تكون معطوفة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ [البقرة: 245]. فالجهة الجامعة هي: التضاد. وأمثلة هذا القسم تظهر في: الطباق [2]، والمقابلة [3].

٢- ألا تكون الآية الثانية معطوفة على الأولى: إذا يوجد العطف بين الجملتين، فلا بد إذن من رابط يعتمد عليه، ويشير إلى ترابط الكلام، وهي قرينة معنوية يدركها المستنبط ببصيرته النفاذة، كإلحاق النظير بما يماثله، كما في قوله تعالى من سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾ [الأنفال: 1]. ثم بين أوصافهم، وختم ذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 4]. وذكر جزاءهم فقال: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5)﴾ [الأنفال: 4-5] [4].

*** ترجمه موجزة لأبي حيان**

أولاً- اسمه ونسبه ومولده

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين، أبو حيان، الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي[5].

ولد في غرناطة سنة 654هـ، فقيه ظاهري.

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 323/12.

(2)الطباق: - هو الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أ الخطبة أو البيت من بيوت القصيد انظر: الصناعتين،ص307.

(3) المقابلة: إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. انظر: الصناعتين: ص 337.

(4) الأصلان في علوم القرآن،ص61.

(5) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 9/ 276

ثانياً– أشهر شيوخه

أخذ العربية في غرناطة على أبي الحسن الأبذي [1] وأبي جعفر الطباع [2]، كما درس في مالقة على أبي عبد الله بن عباس القرطبي، وفي بجاية على أبي عبد الله محمد بن صالح، وفي تونس على أبي محمد عبد الله بن هارون، وفي الإسكندرية على الحافظ عبد النصير المريوطي، وفي مصر على عبد العزيز الحراني وابن خطيب المزة وأبي الطاهر المليجي، ودرس الحديث في مصر على العلامة ابن دقيق العيد والنحو على الشيخ بهاء الدين بن النحاس [3]

ثالثاً– أشهر تلاميذه

تتلمذ عليه في مصر خلق كثير، على رأسهم تقي الدين السبكي وابنه تاج الدين السبكي، وبدر الدين بن جماعة وكمال الدين الأدفوي وجمال الدين الأسنوي وابن عقيل والسفاقسي والصفدي وغيرهم [4].

وقد تصدر أبو حيان لتدريس الحديث في المدرسة المنصورية بالقاهرة، وخلف شيخه بن النحاس في حلقة النحو.

رابعاً– مكانته العلمية والثناء عليه

كان أبو حيان أمة وحده، جامعاً للمعارف الإسلامية، ملماً باللغات الشرقية، يقول عنه تلميذه الصفدي: "ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله، عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا في عصره فيهما، ولم يُذكر معه أحد من أقطار الأرض، وله اليد الطولى في التفسير والحديث، وتراجم الناس وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم، وله التصانيف التي سارت وطارت، وانتشرت وما اندثرت، وقرئت ودرست، ونُسخت وما نسخت، أخملت كتب المتقدمين وألهت بمصر المقيمين والقادمين"[5].

ويقول عنه السيوطي: "نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرؤه ومؤرخه وأديبه"[6].

خامساً– وفاته

توفي – رحمه الله تعالى – بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة، في يوم السبت بعد العصر، الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر [7]

*** أخذ أبي حيان المناسبات عن غيره**

أولاً– أخذه عن شيخه ابن الزبير [8].

والإمام ابن الزبير له باع طويل في هذا العلم، وهو أول من أفرد كتابا في بابه، وسماه "البرهان في تناسب سور

([1]) الوافي بالوفيات 17/ 35
([2]) الإحاطة في أخبار غرناطة 3/ 28
([3]) فوات الوفيات 4/ 72
([4]) بغية الوعاة 1/ 152
([5]) نكث الهميان في نكت العميان ص267
([6]) بغية الوعاة 1/ 280
([7]) أعيان العصر وأعوان النصر 5/ 327

([8]) ابن الزبير الغرناطي (٦٢٧ - ٧٠٨ هـ = ١٢٣٠ - ١٣٠٨ م) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، ولد في جيان وأقام بمالقة فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته. وتوفي فيها. قال ابن حجر: كانت له مع ملوك عصره وقائع، وكانت بينه وبين أميري مالقة وغرناطة صداقة، وكان معظما عند الخاصة والعامة. طبقات

القرآن"، فأودع فيه ما جادت به قريحته في هذا المجال، ويمتاز أسلوبه بالاستطراد، ومحاولة الربط بين السورة والسورة التي تليها، ليس فقط من خلال إبراز التناسب بين المقطع الأخير من السورة والمقطع الأول من السورة التي تليها، ولكن من خلال محاور السورة ومقاطعها المختلفة.

وهذا يظهر الفرق بين منهج ابن الزبير والرازي، الذي كان يوجز ويقتصر في بيان ارتباط السورتين من خلال المقطع الأخير – في الغالب من السورة الأولى والمقطع الأول من السورة التي تليها، وهذا ما كان يمتاز به كثير من أئمتنا وعلمائنا في استقلال شخصياتهم العلمية والابتكار، وإغناء المكتبة الإسلامية بما هو جديد.

لقد أفاد أبو حيان من شيخه في مواضع عديدة، إلا أني لم أعثر إلا على موضع واحد ذكر فيه أبو حيان أنه نقل عن شيخه ابن الزبير، وذلك في المناسبة بين سورة (البقرة والفاتحة)، حيث قال: "وسمعت الأستاذ أبا جعفر بن إبراهيم بن الزبير شيخنا يقول: ذلك إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ [الفاتحة: 6]، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب.

وبهذا الذي ذكره الأستاذ تبين وجه ارتباط سورة (البقرة) بسورة (الحمد)، وهذا القول أولى؛ لأنه إشارة إلى شيء سبق ذكره، لا إلى شيء لم يجر له ذكر"[1]. أما بقية المواضع التي تم رصدها ويظهر فيها التشابه والاقتباس بين ما كتبه أبو حيان وشيخه ابن الزبير فتفوق الستة مواضع، كالمناسبة بين (يوسف وهود، والنحل والحجر، ومريم والكهف، والمؤمنون والحج، والنمل والشعراء، ولقمان والروم) [2].

وسأكتفي بنقل بعض المواضع التي فيها تشابه في المناسبات بين ما ذكره ابن الزبير وأبو حيان:-

الموضع الأول: في المناسبة بين سورتي (يوسف وهود)، قال: "ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أن في آخر السورة التي قبلها: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود: 120] وكان في تلك الأنباء المقصوصة فيها ما لاقى الأنبياء من قوسهم، فأتبع ذلك بقصة يوسف، وما لاقاه من إخوته، وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة، ليحصل للرسول و التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب، وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة"[3]

بينما قال ابن الزبير في المناسبة بين هاتين السورتين: "هذه السورة من جملة ما قص عليه السلام من أنباء الرسل وأخبار من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود: 120] [4].

فما كتبه أبو حيان لا يبعد كثيرا في جوهره عما كتبه شيخه، صحيح أن المناسبة بين السورتين لا تحتاج إلى

علماء الحديث 4/ 267، الوافي بالوفيات 6/ 140، الإحاطة في أخبار غرناطة 3/ 119.

([1]) البحر المحيط في التفسير 1/ 61.

([2]) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل 2335

([3]) البحر المحيط في التفسير 234/6.

([4]) البرهان فى تناسب سور القرآن ص227

طول نظر، ولكن أيضا لا يستبعد أن أبا حيان قد اطلع عما كتبه ابن الزبير. [1]

الموضع الثاني: في المناسبة بين سورتي (مريم والكهف)، حيث قال أبو حيان: "ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر، وولادة عيسى من غير أب، فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك"[2].

بينما قال ابن الزبير في المناسبة بين هاتين السورتين: "لما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)﴾ [الكهف: 9] ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين موسى والخضر (عليهما السلام)، وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هر اشد عجبا وأخفى سببا، فافتتح سورة (مريم) بيحيي بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج، حتى سال زكريا مستفهما ومتعجبا قال ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) ﴾ [مريم: 8][3].

إن ملاحظة التشابه بين ما كتبه أبو حيان وشيخه لا تحتاج إلى كثير فكر، فالسورتان تشتركان في القصص العجب المستغرب، وكأن أبا حيان قد حاد عن منهجه العالم في الاكتفاء بذكر المقطع الأخير من السورة السابقة مع المقطع الأول في السورة التالية، وربما يكون قد استحسن ما كتبه شيخه في هذا الإطار لكن دون أن يشير إليه. [4].

الموضع الثالث: في المناسبة بين سورتي (المؤمنون والحج)، حيث قال أبو حيان: "ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾ [الحج: 77]، وفيها (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩)، وذلك على سبيل الترجية، فناسب ذلك قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)﴾ [المؤمنون: 1] إخبارا بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح"[5]

بينما قال ابن الزبير في المناسبة بين هاتين السورتين: "فصل في افتتاحها ما أجمل في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾ [الحج: 77]، وأعلم بما ينبغي للراكع والساجد التزامه من الخشوع، ولالتحام الكلامين أورد الأول أمراء والثاني مدحة وتعريفا بما به كمال الحال، وكأنه لما أمر المؤمنين وأطمع بالفلاح جزاء لامتثاله كان مظنة لسؤاله عن تفصيل ما أمر به من العبادة، وفعل الخير الذي به"[6].

إذن جاءت مقدمة سورة (المؤمنون) مفصلة لما ختمت بها سورة (الحج)، فالترجية بالفلاح يحتاج إلى بيان لكيفية تحقيق الفلاح، وهو ما تكفلت به مقدمة سورة (المؤمنون).

(1) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2336
(2) البحر المحيط في التفسير 237/6
(3) البرهان فى تناسب سور القرآن ص251
(4) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2337
(5) البحر المحيط 7 / 545-546
(6) البرهان في تناسب سور القرآن ص 257

والملاحظ أن ابن الزبير ظل محافظا على أسلوبه بالتفصيل في المناسبة، صحيح أنه قد سلك سبيلا آخر في الربط بين السورتين، من حيث الاكتفاء بالمقطع الأخير من السورة مع المقطع الأول من السورة التي تليها. قياسا على المنهج العام الذي اتبعه، وهو الربط بين الموضعين في أكثر من مقطع من مقاطع السورة، لكن يبقى أكثر شرحا وتفصيلا من أبي حيان.

فأبو حيان يرى أن المناسبة بين السورتين تتجلى في أمره سبحانه وتعالى بالركوع والسجود رجاء الفلاح، وقد أخبر سبحانه بكيفية حصول الفلاح في مقدمة سورة (المؤمنون) [1].

وهذا الذي ذهب إليه أبو حيان ليس بعيدا عما كشفه شيخه، فابن الزبير يرى بأنه قد أجمل الفلاح في آخر الحج وقد فصل في أول (المؤمنون)، فالإطماع بالفلاح كان مظنة لسائل أن يسأل عن السبيل لبلوغ هذا الهدف، فكانت الإجابة في أول (المؤمنون)، فالفكرة واحدة لكن طريقة عرضها اختلفت.

الموضع الرابع: في المناسبة بين سورتي (النمل والشعراء)، حيث قال أبو حيان: "ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها واضحة، لأنه قال: وما تنزلت به الشياطين، وقبله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢)﴾ [الشعراء: 192]، وقال هنا: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)﴾ [النمل: 1]؛ أي الذي هو تنزيل رب العالمين"[2].

بينما قال ابن الزبير في المناسبة بين هاتين السورتين: "لما أوضح في سورة الشعراء عظيم رحمته بالكتاب وبيان ما تضمنه مما فضح به الأعداء أو رحم به الأولياء وبراءته من أن تتسور الشياطين عليه، وباهر آياته الداعية من اهتدى بها إليه، فتميز بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا ونورا ساطعا، أتبع ذلك سبحانه ذلك مدحة وثناء، وذكر من شملته رحمته به تخصيصا واعتناء فقال: (تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ)"[3].

إن المتأمل لما ذكره الشيخان يظهر له بوضوح أنهما لا يكادان يخرجان عن قول واحد، وان الذي ذكره أبو حيان لا يعدو سوى أن يكون اختصارا لما ذكره شيخه ابن الزبير. [4].

ثانياً– أخذه عن الرازي [5]

حوى تفسير الرازي – التفسير الكبير – معارف شتى، سواء أكانت مختصة بعلوم القرآن أم بعلوم الشريعة،

---

(1) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2337

(2) البحر المحيط 8 / 206

(3) البرهان في تناسب سور القرآن ص 256

(4) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2338

(5) الرَّازي، فخر الدين (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ، ١١٥٠ - ١٢١٠ م).أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان. كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم التي تبدو دخيلة على القرآن الكريم، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان.
اختُلف في سبب وفاته، وقيل مات مسمومًا.

أم بعلوم الطبيعة والفلسفة بشكل عام، وقد أفاد منه جل من جاء بعده.

وقد كان نصيب المناسبات بين السور في تفسيره ظاهرا، إذ يعد تفسيره من أوائل التفاسير المدونة التي أبرزت هذا الفن (علم المناسبة)، وامتاز بعمق الفكرة، وعلى التحليق في بيانه للمناسبة بين السور.

لقد كان أبو حيان مطلعا على ما كتبه الإمام الرازي، وقد نقل عنه مئات المواضع سواء أكان ناقدا أم مقرا ومستحسنا لتلك الأقوال، أما بالنسبة للمناسبات فقد نقل عنه ولكن بدون أن يشير إلى أنه أخذه أو اقتبسه من الرازي، كالمناسبة بين (الذاريات وق، والقمر والنجم، والزلزلة والبيئة، والكوثر والماعون)، ولم يوجد تصريح من الإمام أبي حيان على نقل مناسبة بين سورتين من الرازي إلا في موضع واحد، وهو ما بين سورتي (فاطر وسبأ). [1]

وكان نقل أبي حيان عن الرازي في هذا الموضع في مقدمة تفسيره لسورة (فاطر)، فنقل عنه الفرق بين الحمد والشكر، وأتبعه بالمناسبة بين فاطر وسبأ، حيث نقل قول الرازي: "فأول هذه السورة متصل بآخر ما مضى، لأن ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [سبأ: 54] بيان لانقطاع رجاء من كان في شك مريب.

ولما ذكر حالهم ذكر حال المؤمن وبشره بإرسال الملائكة إليهم مبشرين، وأنه يفتح لهم أبواب الرحمة"[2].

وربما يتبادر أن الإمام أبا حيان حينما نقل ما كتبه الرازي اكتفي به، وأراح نفسه عناء الاجتهاد والإضافة، لكن هذا لم يكن، إذ كان لأبي حيان رأي آخر في هذه المناسبة، حيث أورد ذلك في مقدمة السورة، فقال: "ولما ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها هلاك المشركين أعداء المؤمنين، وأنزلهم منازل العذاب، تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه، كما في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾ [الأنعام: 45] [3].

الموضع الثاني: في المناسبة بين سورتي (الحجرات والفتح)، حيث قال أبو حيان: "ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أن المناداة من وراء الحجرات فيها رفع الصوت وإساءة الأدب، والله قد أمر بتوفير رسوله وتعظيمه"[4].

بينما قال الرازي في أحد أقواله في بيان المناسبة بين السورتين: "إن الله تعالى لما بين محل النبي عليه الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذي يظهر دينه وذكره بأنه (رحيم بالمؤمنين) بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ [التوبة: 128] قال: لا تتركوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول، ولا تغتروا برأفته وانظروا إلى رفعة درجته"[5].

والذي قاله أبو حيان يتفق مع ما ذهب إليه الرازي، فمدار الحديث في آخر الفتح عن علق درجة النبي ﷺ، فجاء الأمر الإلهي في أول الحجرات بتوفير النبي عليه

(1) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2338.
(2) البحر المحيط في التفسير 9/ 9، وينظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 25/ 218.
(3) البحر المحيط في التفسير 9/ 9.
(4) البحر المحيط في التفسير 9/ 510.
(5) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 91/28.

الصلاة والسلام، وعدم إساءة الأدب معه يرفع الصوت وغيره. [1].

الموضع الثالث: في المناسبة بين سورتي (الذاريات وق)، حيث قال أبو حيان: "ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ [ق: 45]، وقال أول هذه بعد القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)﴾ [الذاريات: 5-6]"[2]

بينما قال الرازي: "لما بين الحشر بدلائله، وقال: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) ﴾ وقال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: 45] ؛ أي تجبرهم وتلجئهم إلى الإيمان إشارة إلى إصرارهم على الكفر بعد إقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق إلا اليمين، فقال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥)﴾ [الذاريات: 1-5]، وأول هذه السورة وآخرها متناسبان حيث قال في أولها: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥)﴾ [الذاريات: 5]، وقال في آخرها: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠) ﴾ [الذاريات: 60][3]

لقد امتاز الرازي ببعد التحليق في بيان المناسبات بين السور فها هو يكشف عن جزء من هذا التحليق، فنظر إلى المقطع الأخير من سورة (ق)، وبين وجه ارتباطه ببداية سورة (الذاريات)، ففي آخر (ق) تخويف وتحذير، وفي بداية (الذاريات) قسم وتأكيد، وقد انتزع أبو حيان المناسبة التي ذكرها من مضمون بدائع الرازي، ولكن بتلخيص واختصار[4].

الموضع الرابع في المناسبة بين سورتي (القمر والنجم)، قال أبو حيان "ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرة، قال: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧)﴾ [النجم: 57]، وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)﴾ [القمر: 1] [5]

بينما قال الرازي: "أول السورة مناسب لآخر ما قبلها، وهو قوله: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧)﴾ [النجم: 57] فكأنه أعاد ذلك مع الدليل، وقال: قلت: أزفت الأزفة وهو حق، إذ القمر انشق"[6].

لم يختلف أبو حيان عن الرازي في بيان المناسبة بين السورتين سوى ما ذكره الرازي من فلسفته للتدليل على رأيه الثاقب في تجلية المناسبة [7].

الموضع الخامس في المناسبة بين سورتي (الزلزلة والبينة)، حيث قال أبو حيان: "ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار، وجزاء المؤمنين، فكان قائلا قال: متى ذلك؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١)﴾ [الزلزلة: 1] [8]

بينما قال الرازي: "ذكروا في المناسبة أحدها: لما قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ

(1) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2338
(2) البحر المحيط في التفسير 9/ 548
(3) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 159/28
(4) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2339
(5) البحر المحيط في التفسير 33/10
(6) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 288/29
(7) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط" ص 2340
(8) البحر المحيط في التفسير 521/10

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البينة: 8]، فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١)﴾ [الزلزلة: 1]، فالعالمون كلهم يكونون في الخوف، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك، وتكون أمنا فيه"[1].

فأنت ترى الكلام بنصه الذي نقله الرازي، فقد أعاده أبو حيان مع تعديل طفيف، ولكن بدون الإشارة إلى ذلك [2].

ومن نماذج المناسبات للآيات مناسبة قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١)﴾ [إبراهيم: 21].

قال أبو حيان: "ووعد الحق يحتمل أن يكون من إضافة الموصوف إلى صفته أي: الوعد الحق، وأن يكون الحق صفة الله أي: وعده، وأن يكون الحق الشيء الثابت وهو البعث والجزاء على الأعمال، أي: فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم"[3].

بينما قال الرازي: "المراد أن الله تعالى وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم"[4].

نلحظ هنا النقل النصي من الرازي عند أبي حيان في قوله: "فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم".

*** نماذج من المناسبات الواردة في كتاب (البحر المحيط)**

أولاً– المناسبات بين السورتين

يعد أبو حيان الأندلسي، من المفسرين القلائل الذين أولوا عناية للتناسب بين آيات وسور القرآن الكريم، وتفسيره (البحر المحيط) حافل بالشواهد على ذلك. فهو قد درج على ذكر مناسبة أول كل سورة، إلى آخر ما قبلها[5].

ومن أمثلة ذلك:–

١– ما ذكره عند تفسير قوله تعالى من أول سورة الأنبياء: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١)﴾ [الأنبياء: 1] فقد ذكر التناسب بين أول هذه السورة، وآخر سورة طه، وقال: [مناسبة هذه السورة لما قبلها: أنه لما ذكر قوله: (قل كل متربص فتربصوا..)[6]، قال مشركو مكة: محمد يهددنا بالمعاد، والجزاء على الأعمال، وليس بصحيح، وإن صح ففيه بعد، فأنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١)﴾

٢– ذكر مناسبة أول سورة عبس، وهو قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)﴾ [عبس: 1–2] للسورة التي قبلها – وهي سورة النازعات – فقال: مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥)﴾ [النازعات: 45]، ذكر في هذه من ينفعه الإنذار، ومن لم ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يناجيهم في أمر الإسلام، كعتبة بن ربيعة، وأبي جهل، وأمية بن خلف، وأبي [7].

---

(1) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 253/32
(2) المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل" ص 2340
(3) البحر المحيط في التفسير 6/ 428
(4) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 19/ 85
(5) علوم القرآن ومناهج المفسرين، ص149.
(6) البحر المحيط في التفسير 295/6.
(7) البحر المحيط في التفسير 10/ 406.

٣- مناسبة سورة الواقعة لما قبلها، قال أبو حيان –رحمه الله تعالى-:"ومناسبتها لما قبلها تضمن العذاب للمجرمين، والنعيم للمؤمنين. وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض بقوله: ومن دونهما جنتان، فانقسم العالم بذلك إلى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة، وأصحاب مشأمة، وسباق وهم المقربون، وأصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم آخر هذه السورة [1].

ثانياً– المناسبات بين الآيات في السورة الواحدة

وقد أورد أبو حيان شواهد كثيرة على التناسب المعنوي بين آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله: وهو يفسر آية التحدي في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ [البقرة: 23] قال: (مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لم يحتج عليهم بما يثبت الوحدانية، ويبطل الشرك، وعرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم والتمييز، ويحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته، وهو كون القرآن معجزة، ويبين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله، أم من عنده، أن يأتوا هم، ومن يستعينون به بسورة) [2].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)﴾ [النساء: 97] يبرز التناسب بين هذه الآية وما قبلها فيقول: (مناسبة هذه الآية لما قبلها هي: أنه تعالى لما ذكر ثواب من أقدم على الجهاد، أتبعه بعقاب من قعد عن الجهاد، وسكن في بلاد الكفر) [3].

ويظهر الثواب الذي ذكره في قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦)﴾ [النساء: 95-96] ولا يتوقف في هذه السورة عند ذكر تناسب آياتها، بل يورد التناسب بين أول السورة وآخرها، فيقول: (ختمت هذه السورة (يعني سورة النساء) بهذه الآية، (يعني آية الكلالة)، كما بدئت أولا بأحكام الأموال في الإرث وغيره، ليشاكل المبدأ المقطع، وكثيرا ما وقع ذلك في السور) [4].

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾ [الواقعة: 95-96].

قال أبو حيان –رحمه الله تعالى–:"ولما انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آل إليه كل قسم منهم، أكد ذلك بقوله: إن هذا: أي إن هذا الخبر المذكور في هذه السورة لهو حق اليقين، ولما أعاد التقسيم موجزا الكلام فيه، أمره أيضا بتنزيهه عما لا يليق به من الصفات وتسبيحه، والإقبال على عبادة ربه، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء [5].

*** الخاتمة**

بعد أن طوفنا في جمال القرآن ومناسباته، وحلقنا في سماء لطائفه وارتباطاته؛ فأختم بأهم الفوائد والنتائج والتوصيات:-

(1) البحر المحيط في التفسير 10/ 75
(2) البحر المحيط في التفسير 1/ 166
(3) البحر المحيط في التفسير 4/ 40
(4) البحر المحيط في التفسير 4/ 150
(5) البحر المحيط لابي حيان 10/ 95-96.

١- علم المناسبات من العلوم الشرعية الأصيلة التي تحتاج إلى الكثير من التحقيق والتحرير.

٢- علم المناسبات منضبط؛ فله أصول وقواعد وموازين، ينبغي الحرص على تطبيقها.

٣- المناسبات القرآنية ترجع إلى ثلاثة أصول: المناسبات بين السور، وبين الآيات، وفي المشتبهات.

٤- علم مقاصد السور من ثمار علم المناسبات.

٥- أكثر فوائد التدبر من علم المناسبات.

٦- البحث يظُهر أهمية اللغة وأثرها الكبير في تدبر القرآن الكريم.

٧- أوصي الباحثين بإفراد مباحث هذا البحث برسائل وأبحاث، لاسيما أنواع المناسبات.

*** المراجع**

القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي (هذا هو نص الكتاب المطبوع، وهو غير المحاضرة المفرغة التي تحمل نفس الاسم)، ساعدت جامعة بغداد على نشره، 1989م.

أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الأصلان في علوم القرآن، د. محمد عبد المنعم القيعي: الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م، القاهرة.

أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ

البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة-، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:

911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم-، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا

البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ.

طبقات الشافعية الكبرى -، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ.

علوم القرآن ومناهج المفسرين، محمد قاسم الشوم، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى 1973-1974م.

لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، (ت 711هـ): دار إحياء التراث العربي، ط2، بيروت.

مباحث في علوم القرآن، مناع القطان مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.

مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْنَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، (ت395هـ): دار الجيل، بيروت.

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ه.

المناسبات بين سور القرآن عند أبي حيان في البحر المحيط "عرض وتحليل "يونس ياسين، 2015، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) المجلد 29(12).

نكث الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

الوافي بالوفيات. لصلاح الدين خليل الصفدي: اعتناء: س. ديدرينغ، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن 1389هـ.